عام الحزن

وفاة شيخ البطحاء أبي طالب والسيدة خديجة الكبرى عليهما السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية

عام الحزن

وفاة شيخ البطحاء أبي طالب والسيدة خديجة الكبرى عليهما السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد الصادق الأمين، وعلى آله الميامين الطيبين الطاهرين..

في أسبوع واحد فقد رسول الله أكبر دعامتين اعتمد عليهما نشر دعوة الإسلام، في السابع من شهر رمضان توفي عمه وناصره أبو طالب، وفي العاشر منه توفيت أم المؤمنين خديجة.

أبو طالب عليه السلام حامي الرسول الأكرم ومانعه من مشركي قريش، الذين عجزوا عن التصدي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لعلمهم إن أبا طالب شيخ البطحاء يحول دون ذلك، فانه كان رجلا مرهوب ا لجانب ذا سطوة ونفوذ، وليس في بني هاشم وحدهم بل في قبائل مكة كلها.

كان أبو طالب عليه السلام سند الدعوة وجدارها الشامخ الذي تستند إليه، ومن اجل ذلك سلكت قريش أسلوب التفاوض والمساومة مع الدعوة والرسالة في شخص الرسول صلى الله عليه وآله مرة وفي شخص أبي طالب مرة أخرى، تحاوره بشأن الدعوة طالبة منه ان يستخدم نفوذه بالضغط عليه لترك رسالته وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها اذا لم يخلّ بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ويكف عن إسناده له.

غير أن أبا طالب كان يعلن إصراره على التزام جانب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والذود عنه مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات، حتى عاش معه في الشِعب تحت الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته قريش.

وللأهمية البالغة التي احتلها أبو طالب في سير الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى صرح رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: (ما نالت منّي قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب)[1].

أما السيدة خديجة الكبرى عليها السلام فقد كانت على دين أبيها إبراهيم عليه السلام وذلك قبل أن يُبعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وكانوا يُعرفون بالحنفاء، وقد آمنت في اليوم الأول من بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف: (أوّل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من الرجال علي عليه السلام ومن النساء خديجة عليها السلام).

عندما رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من غار حراء وهو ينوء بثقل الرسالة العظيمة، كانت السيّدة خديجة عليها السلام في استقباله حيث قالت له: أيّ نور أرى في جبينك؟ فأجابها: إنّه نور النبوّة، ومن ثمّ شرح لها أركان الإسلام، فقالت له: «آمنت وصدّقت ورضيت وسلّمت»[2].

وبذلك فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش أبي طالب، لتزداد الفجيعة فجيعة أخرى كبيرة بفقد أم المؤمنين خديجة.

---

(١) السيرة المحمدية/ الشيخ جعفر السبحاني.

(٢) بحار الأنوار/ المجلسي ج ١٨، ص ٢٣٢.

ماذا يعني عام الحزن؟

في السنة العاشرة من مبعث النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة بثلاث سنين توفيت خديجة عليها السلام وتوفى في هذا العام قبلها بثلاثة أيام أبو طالب عليه السلام عم النبي صلى الله عليه وآله فسماه النبي صلى الله عليه وآله عام الحزن. المصباح[1].

معنى الحزن

الحزن في اللغة: الحزن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور. والحزن ما غلظ من الأرض، والحزن: المكان الغليظ، وهو الخشن[2].. أي تكون حياة الإنسان غليظة وخشنة مما يصيبه فهو حزين.

والحزن إنما يطرأ عليها لفقد ما تحبه أو تحقق ما تكرهه مما يعود إليها نفعه أو ضرره، ولا يستقيم تحقق ذلك إلا فيما يرى الإنسان لنفسه ملكا أو حقا متعلقا بما يخاف عليه أو يحزن لفقده من ولد أو مال أو جاه أو غير ذلك. وأما ما لا علقه للإنسان به بوجه من الوجوه أصلا فلا يحزن لفقده البتة. فهل نتصور هذا المعنى في حق الأنبياء

(١) الكفعمي - ص ٥١٣.

(٢) لسان العرب - ابن منظور - ج ١٣ - ص ١١١.

مثلا، نجد في القرآن الكريم وصف لحال يعقوب عليه السلام لفقده ابنه يوسف عليه السلام: {وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ}[1] أو وصف حال الرسول صلى الله عليه وآله وحزنه من قول المكذبين في قوله تعالى:{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ}[2]

وفي ذات الوقت نجد أن أولياء الله تعالى من صفاتهم أنهم لا يحزنون: {أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }[3].

فكيف نجمع بين ما ذكر من معنى الحزن ووصف الأنبياء به وبين وصفه لأولياء الله أنهم لا يحزنون؟

إن الحزن بما هو حزن نعم موجود في ا لجميع ولكن ماهيته تختلف عند الأنبياء عما هو عند عامة الناس.

«على أن توصيفه أهل هذا الإيمان بأنهم (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يدل على أن المراد منه الدرجة العالية من الإيمان الذي يتم معه معنى العبودية والمملوكية ا لمحضة لله وحده لا شريك له، وأن ليس إليه من الأمر شيء حتى يخاف فوته أو يحزن لفقده.

(١) سورة يوسف/ (٨٤)

(٢) سورة الأنعام / (٣٣)

(٣) سورة يونس/ (٦٢)

فهؤلاء لا يخافون شيئا ولا يحزنون لشيء لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا إن يشاء الله وقد شاء أن يخافوا من ربهم وان يحزنوا لما فاتهم من كرامته إن فاتهم وهذا كله من التسليم لله فافهم ذلك. فإطلاق الآية يفيد اتصافهم بهذين الوصفين: عدم الخوف وعدم الحزن في النشأتين الدنيا والآخرة «، فلا يمكن «أن يقيس حال المكرمين من عباد الله المقربين من الأنبياء والأولياء إلى ما يجده من حال المتوسطين من عامة الناس «لأنه «التوحيد الكامل يقصر حقيقة الملك في الله سبحانه فلا يبقى لغيره شيء من الاستقلال في التأثير حتى يتعلق به لنفسه حب أو بغض أو خوف أو حزن ولا فرح ولا أسى ولا غير ذلك، وإنما يخاف هذا الذي غشيه التوحيد ويحزن أو يحب أو يكره بالله سبحانه، فهؤلاء لا يخافون من شيء في دنيا ولا آخرة إلا من الله سبحانه ولا يحزنون. والآية مع ذلك تدل على أن هذا الوصف إنما هو لطائفة خاصة من المؤمنين يمتازون عن غيرهم بمرتبة خاصة من الإيمان تخصهم دون غيرهم من عامة المؤمنين وبا لجملة ارتفاع الخوف من غير الله والحزن عن الأولياء ليس معناه أن الخير والشر والنفع والضرر والنجاة والهلاك والراحة والعناء واللذة والألم والنعمة والبلاء متساوية عندهم ومتشابهة في إدراكهم فإن العقل الإنساني بل الشعور العام الحيواني لا يقبل ذلك. بل معناه أنهم لا يرون لغيره تعالى استقلالا في التأثير أصلا،

ويقصرون الملك والحكم فيه تعالى فلا يخافون إلا إياه أو ما يحب الله ويريد أن يحذروا منه أو يحزنوا عليه[1].

بعد هذا العرض.. ما سر اختيار الرسول صلى الله عليه وآله هذه التسمية بالذات؟ ولماذا قيدها بعام؟ ولعل من أهم أسباب ذلك:

١- إثبات أمر عقائدي وهو: جواز الحزن على الميت، بل قد يجب في بعض الحالات إذا كان أمرا إلهيا كالحزن على أهل بيت العصمة (يحزنون لحزننا). وقد حزن الرسول صلى الله عليه وآله عليهما حزنا إلهيا كما يدل على ذلك بقوله: «اجتمعت على هذه الأمة مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعا»[2].

٢- معرفته صلى الله عليه وآله بالتاريخ الذي سيغيب شخصيات عظيمة عن مسرح الإسلام ويهضم حقهم ويجعلهم في الهامش ويقدم غيرهم عليهم، فيكفر أبو طالب عليه السلام ويظهر إيمان أبي سفيان وابنه معاوية... وتقدم بعض نسائه فتكون أكثر فضلا وأقرب زوجة للرسول من غيرها حتى على خديجة عليها السلام.

٣- إن هذا العام فعلا كان عاما صعبا وخشنا على الرسول صلى

(١) تفسير الميزان - السيد الطباطبائي - ج ١٠ - ص ٩٠ - ٩٣

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم/ السيد جعفر مرتضى العاملي.

الله عليه وآله ولاقى ما لاقى من عذابات من كفار قريش. قالوا: كان الله عز وجل مما يمنع نبيه صلى الله عليه وآله بعمه أبى طالب، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوءه مدة حياته، فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله بغيتها، وأصابته بعظيم من أذى حتى تركته لقى، فقال صلى الله عليه وآله: «ما أسرع ما وجدنا فقدك يا عم».[1]

ومن هنا نفهم معنى قول الرسول عندما مات أبو طالب: «ما نالت مني قريش حتى مات أبو طالب ما زالت قريش كاعة[2] عني حتى مات أبو طالب»[3]، والخلاصة أن أبا طالب كان أحد أركان جبهة الإيمان، وقد استغل مكانته الاجتماعية لصالح الرسول ولصالح الإسلام، وكان ساعد النبي الأيمن طوال حياته المباركة، ويوم مات أبو طالب لخص النبي هذه المواقف النبيلة بقوله: «يا عم ربيت صغيرا، وكفلت يتيما، ونصرت كبيرا، فجزاك الله عني خيرا «[4].

(١) كشف الغمة - ابن أبي الفتح الأربلي - ج ٢ - ص ٢٩
(٢) كاعة بمعنى خائفة أو جبانة.
(٣) أعلام الورى للطبرسي ج١ ص ٥٣.
(٤) كربلاء، الثورة والمأساة - أحمد حسين يعقوب - ص ١٧ - ١٨٤

أبو طالب (عليه السلام) الناصر والحامي

ما أن بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله نبيا، حتى واجهته قريش بشرٍّ هو أخطر من شر اليهود، فطالبوا أبا طالب بوقاحة أن يسلمهم إياه ليقتلوه! لأنه بادعائه النبوة هدد تقاسم الزعامة بين قبائل قريش!

من ذلك اليوم دخل أبو طالب عليه السلام في مواجهة حامية مع فراعنة شرسين وجبناء، وقاد بني هاشم بحكمة وحنكة، وجمعهم حول النبي صلى الله عليه وآله مؤمنهم وكافرهم، يحمونه بشجاعتهم الهاشمية التي لا تجارى، واستعدادهم لحرب قريش!

ونجح أبو طالب في حماية حبيبه محمد صلى الله عليه وآله من شر قريش، لبضع عشرة سنة، كانت أشدها السنوات الأربع أو الخمس في حصار الشعب!

كان محمد صلى الله عليه وآله: الولد العزيز لأبي طالب، والصديق الحميم، والمحبوب المفدى، والنبي الصادق، وكان يوجه عمه الجليل بأدب الابن مع أبيه، وحنان الرسول على المؤمن.. جاءه يوماً بعد أربع سنوات من حصار قريش فقال له: يا عم إن الله عز وجل قد أرسل على صحيفة القوم أَرَضَةً فأكلت كل بنودها الظالمة، وأبقت منها اسم الله تعالى!

فسأله أبو طالب: أخبرك ربك بذلك يا ابن أخي؟ قال: نعم. قال له: إن ربك لحق وأنا أشهد أنك صادق. واتفق مع النبي ﷺ وأصدر أمره إلى بني هاشم أن البسوا كلكم أحسن ثيابكم وخذوا أسلحتكم، لنذهب إلى المسجد!

ولم يخبرهم بما أوحى الله إلى النبي ﷺ حتى لا يتسرب الخبر!

((فما راع قريشاً إلا وبنو هاشم قد خرجوا من الشعب! نحو أربعين رجلاً يمشون خلف بعضهم بامتداد وشموخ، أخرجهم الوحي وخطة أبي طالب عليه السلام، ولم يخرجهم الجوع فهم أقوى، ولا طأطأ هاماتهم الحصار فهي أعلى! يتقدمهم شيخ بهي الطلعة ابن التسعين عاماً، والى جنبه سيد المرسلين ﷺ وجلسوا في حجر إسماعيل عند قبر أمهم هاجر وجدهم إسماعيل، حيث لا يجلس هناك إلا سُراة قريش!

فجاء زعماء قريش يستطلعون الخبر، وأدار أبو طالب الكلام، وأقام الحجة الجديدة على فراعنة قريش، وأثبت لهم صدق النبي الأمين ﷺ، وأحضروا الصحيفة فوجدوها كما أخبر رسول الله ﷺ. لكن هيهات أن تنفع الحجج مع قوم قرروا أن لا يسمعوا لمنطق ولا يخضعوا لمعجزة، لأن ذلك يوجب عليهم طاعة نبي من بني هاشم! وكان من حكمة أبي طالب وخبرته بهم أنه أطمعهم بأن يسلمهم محمداً ﷺ للقتل إن ثبت كذبه، وأخذ عليهم عهداً أن يُنهوا حصارهم إن ثبت

صدقه! وكان ذلك كافياً لأن يعلن هو كسر الحصار، وعودة بني هاشم إلى مساكنهم في مكة!

كان أبو طالب يعرف أن قبائل العرب تخاف من قريش، ومن لا يخاف منها يريد الثمن من محمد ﷺ أن تكون خلافته له، ومحمد ﷺ يجيبهم بأن للأمر أهلاً، ويطلب منهم أن يبايعوه على أن لا ينازعوا الأمر أهله!

لذلك لم يكن عند أبي طالب أمل في قبائل العرب، إلا في المدينة وبني النجار خاصة، لذا روت المصادر أنه:(لما حضرت أبو طالب الوفاة دعا رسول الله ﷺ فقال له: ابنَ أخي: إذا أنا متُّ فائت أخوالك من بني النجار، فإنهم أمنع الناس لما في بيوتهم)[1].

وصية أبي طالب لقريش

بلغه أن زعماء قريش: ((تحالفوا وتقاعدوا لئن مات أبو طالب

(١) تاريخ دمشق: ٣٣٨/٦٦، والطبقات: ٥٤٣/٣، وتاريخ الذهبي: ٢٣٣/١.

لتجمعن قبائل قريش كلها على قتله... فجمع بني هاشم وأحلافهم من قريش، فأوصاهم برسول الله ﷺ وقال: إن ابن أخي نبيٌّ كما يقول.. إن محمداً نبي صادق وأمين ناطق وإن شأنه أعظم شأن، ومكان من ربه أعلى مكان، فأجيبوا دعوته، واجتمعوا على نصرته، وارموا عدوه من وراء حوزته، فإنه الشرف الباقي لكم مدى الدهر، وأنشأ يقول:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده ... علياً ابني وعمَّ الخير عباسا

وحمزة الأسد المخشي صولته ... وجعفراً أن تذودوا دونه الباسا

وهاشماً كلها أوصي بنصرته ... أن يأخذوا دون حرب القوم أمراسا

كونوا فداءً لكم نفسي وما ولدت ... من دون أحمد عند الروع أتراسا

بكل أبيض مصقول عوارضه ... تخاله في سواد الليل مقباسا[1]

(١) (مناقب آل أبي طالب: ١/٥٥، وروضة الواعظين/٥٤).

وَصَلَتْكَ رَحِمٌ يا عم..

وذات يوم جاء للنبي ﷺ الخبر: مات ناصرك أبو طالب وهوت الشجرة الظليلة الحانية، فعظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً، فجزاك الله عني خيراً. ومشى بين يدي سريره وجعل يعرضه ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً، وقال ﷺ: (اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان، لا أدري بأيهما أنا أشد جزعاً، يعني مصيبة خديجة وأبي طالب)[1].

إن فعل النبي ﷺ وكلامه بليغ، فإن مصيبة موت خديجة وأبي طالب مصيبتان على أمة الإسلام، وليستا على رسوله فقط ﷺ، لأنهما مجاهدان في مرحلة تأسيس هذه الأمة وحمايتها، ونصرة نبيها ومؤسسها ﷺ.

عن علي (عليه السلام) قال: ((أخبرت رسول الله ﷺ بموت أبي طالب فبكى، ثم قال: اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه، ففعلت ثم

(١) اليعقوبي: ٢/٣٥.

أمرني فاغتسلت ونزلت في قبره، وجعل ﷺ يستغفر له، وبقي أياماً لا يخرج من بيته))[1].

كما روى عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((لما مات أبو طالب وقف رسول الله ﷺ على قبره فقال: جزاك الله من عم خيراً، فقد ربيتني يتيماً، ونصرتني كبيراً)).

أقول: كانت قريش تتأهب لقتل النبي ﷺ بمجرد وفاة أبي طالب عليه السلام! ولعل هذا السبب في أنه ﷺ شارك في مراسم تشييعه في بيته القريب، وعندما حملوه على سريره، ولم يذهب مع جنازته يومها الى الحجون بسبب الخطر على حياته. ومعنى قول الإمام الصادق (عليه السلام) إنه وقف على قبره، أنه زار قبره بعد ذلك.

عن عبد الرحمن بن كثير قال: ((قلت لأبي عبد الله (الإمام الصادق (عليه السلام)): إن الناس يقولون إن أبا طالب في ضحضاح من النار! فقال: كذبوا ما بهذا نزل جبرئيل! قلت: وبماذا نزل جبرئيل؟ فقال أتى جبرئيل في بعض ما كان ينزل على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويقول: إن أهل الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك فآتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه الله أجره مرتين. ثم قال (عليه السلام): كيف يصفونه بهذا

(١) انظر رواية ابن أبي حاتم في الدر النظيم/٢٢١.

وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد، أخرج من مكة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب))[1].

عن الإمام العسكري قال: (إن الله أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً، فسيدهم وأفضلهم أبو طالب، وشيعة تنصرك علانية، فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب)[2].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: ((والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط. قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم (عليه السلام) متمسكين به))[3].

عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:(مات أبو طالب بن عبد المطلب مسلماً مؤمناً)[4].

(١) الجواهر السنية/٢١٩،

(٢) بحار الأنوار ٣٥ /١٣٦.

(٣) وفي كمال الدين/١٧٤

(٤) بحار الأنوار:١١٦/٣٥

خديجة الكبرى

امرأة قدسية، جمعت بين قدسيتها وموقفها فكانت من خيرة النساء الأربع في العالمين حيث يقول واصفاً إياهن النبي الأمين محمد ﷺ قائلاً: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع)، فكانت أولهن آسيا زوجة الطاغية فرعون والتي أخفت إيمانها، وثانيهن مريم بنت عمران أم النبي عيسى السيد الطاهرة النقية، وكانت خديجة زوجة النبي محمد ﷺ ثالثتهن، لتلد أفضلهن وأكملهن وسيدتهن وهي سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء.

زوجة جادت بنفسها وصحتها وراحتها لأجل زوجها والله من وراء زوجها وا لجود بالنفس أقصى غاية ا لجودِ...

فكيف لو تجاوز ا لجود بالنفس جوداً بالمال والثروة وتحمل حرب الأقارب والأصحاب وا لجيران وحصار وقطيعة سنين طوال...

في عصرٍ كانت المرأة توأد وتدفن حية، وفي عصر يحتقر المرأة ويحط من شأنها.. في تلك الأيام جاءت رسالة لتنصر المرأة، وأول من ينصر ويؤمن بهذه الرسالة امرأة.. والله أراد لهذه المرأة أن تشرف التاريخ وتشرف المكان والزمان والظرف وتشرف نساء العالمين وتبدل وأد النساء برفعة السماء !!.. ليصل بفضلها صرخة الحق للخافقين...

ولم يكتمل الدين إلا بثلاث كما قال الرسول الأكرم محمد ﷺ: (نصرة أبي طالب، وسيف علي، وأموال خديجة).

هذه هي خديجة بنت خويلد، ناصرة الرسول يوم لا ناصر ولا معين من العرب، امرأة استغنت عن الراحة وحلاوة الدنيا والثروة الطائلة من أجل دين الله ووفاءً لزوجها رسول الله.. امرأة كان كلما يتذكرها الرسول سالت دموعه حزناً لفقدها وهل يبكي الرسول على أي شخص!!

زوجة صالحة كانت وما زالت مثلا أعلى لزوجات اليوم.. فليتعلمن منها احترام الزوج ومودته وتقديره ونصرته والتضحية من أجله، يقول فيها ﷺ: (والله لقد آمنت بِي إِذ كذَّبني الناس، وآوَتني إِذ رفضَني الناس).

نزل جبرائيل على الرسول في أحد الأيام لا لأجل تبليغه بتشريع سماوي، أو لأجل الدعوة أو لأجل نزول آية قرآنية، بل لأجل تشريع سماوي ودعوة وآية قرآنية ولكن من نوع آخر.

أتى جبرائيل النبي ﷺ فقال: (هذه خديجة أتتك مَعَهَا إِنَاءٌ فيهِ إِدَامٌ أَو طَعَامٌ أَو شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتكَ، فاقرأ عليها السّلامَ من رَبّها وَمنّي، وَبَشّرها بِبَيتٍ في الجَنة من قصَبٍ، لاَ صَخبَ فيهِ وَلاَ نَصبَ).

دعوة رسول الله ﷺ

علم الرسول ﷺ أنه ليس بوسعه أن يُجاهِر بدعوته في أول الأمر، لأنَّه سيُجابَه من قِبَل المشركين بكل وسائل الرفض والمقاومة.

فلجأ ﷺ إلى أسلوب السرِّية والكتمان، وظَلَّ يدعو في مَكَّة سِرّاً كل من يراه مؤهلاً للانضمام إلى الدين الجديد، حتى تكامل عدد أصحابه أربعين شخصاً.

فدامت هذه المرحلة ثلاث سنوات، ثم من بعدها أعلن ﷺ دعوته في مكة مدة عشر سنوات، وهكذا بدأت مرحلة الصراع بين النبي محمد ﷺ وأصحابه، وبين قِوى الكفر، والشرك والضلال، فاحتلَّت المواجهة بين الطرفين مساحة واسعة، استخدمت قُرَيش فيها كل وسائل الضغط والقمع والإرهاب.

وكانت البداية في الصراع مع النبي ﷺ هي الحرب النفسيَّة، التي تمثَّلت بالسخرية والاستهزاء، لكنه ﷺ واصل دعوته مع الثُلَّة الخَيِّرة من أصحابه، ممَّا اضطرَّ الأعداء إلى تغيير أسلوبهم ضد الدعوة الجديدة.

فأخذوا بإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه، وبشكل مباشر، وبأساليب

مُنحطَّة، تتناسب مع مُستَوَاهم الأخلاقي.

أما النبي محمد ﷺ فقد اتَّخذ أسلوباً آخر لمواجهتهم، وهو أن يضع عَمَّه أبا طالب في مواجهة الطغاة، لأنه كان من المناصرين له ولدعوته، ولأن قريش كانت تَهابه وتَخافه.

وتصاعدت المِحنة، وأخذَتْ قريش تستخدم كل أنواع الإرهاب والتعذيب، لكن النبي محمد ﷺ وأصحابه كانوا أشِدَّاء، لا تُزعْزِعُهم تلك الوسائل.

وبعد أن فشلت كل وسائل الإرهاب والتعذيب، وكذلك فشلت جميع المحاولات للفصل بين النبي ﷺ والمحامي عنه عمُّه أبو طالب، استخدموا أسلوباً جديداً معهم، ألا وهو أسلوب المحاصرة الاقتصادية.

فتمَّت محاصرة الرسول ﷺ وأهل بيته من بني هاشم، وبني عبد المطَّلب في شعب أبي طالب. شعب بني هاشم.، وكان ذلك في السنة السابعة من البعثة.

ثم انتهت المحاصرة الاقتصادية، وأساليب التجويع والإرهاب، وخرج منها الرسول ﷺ ظافراً منتصراً.

وشاء الله بعد ذلك أن يتوفَّى خديجة (رضوان الله عليها) وأبا طالب، في السنة العاشرة للبعثة النبوية، فشعرَ الرسول صلى الله عليه وآله بالحزن والألم، حتى سَمَّى ذلك العام بـ عام الحزن، وعلى أثر ذلك اشتدَّ أذى قريش له، وحاولوا مِراراً النيل منه، والتآمر على حياته.

مكانة السيدة خديجة عليها السلام:

قال صلى الله عليه وآله: «لما رجعت من السماء قلت يا جبرئيل هل لك من حاجة؟ قال حاجتي أن تقرأ من الله ومني على خديجة السلام وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: إن الله هو السلام ومنه السلام واليه يعود السلام وعلى جبرئيل السلام»[1].. وحين التأمل في كتاب الله تعالى نرى أنه لم يسلم إلا على فئة معينة، فقد ثبت سلام الله المطلق على جميع الرسل فقال جل وعلا: {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} وقال أيضا: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} وقد خص في بعض المواضع بعض الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ويحي وعيسى عليهم السلام وسلم على محمد وآل محمد. ولذا يفهم في اختصاصهم بالسلام دلالة على نوع من الطهارة، إذ أن قلوبهم سالمة عما سوى الله مصداقا لقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} وقد ورد عن

(١) شجرة طوبى - الشيخ محمد مهدي الحائري - ج ٢ - ص ٢٣٣

الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى (إلا من أتى الله بقلب سليم): «القلب السليم الذي يلقى ربه، وليس فيه أحد سواه، وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط «فالطهارة دليل سلامة القلوب، فالسلام يعني: «من يلاقيك بالسلامة والعافية من غير شر وضر وهذا يعني أن خديجة عليها السلام وصلت أن يصفها الله تعالى بسلامة قلبها، ولا نستكثر ذلك على أم حملت بسيدة نساء الأولين والآخرين.

مناقب وفضائل السيدة خديجة عليها السلام

اللهم صل وسلم على هذه المرأة الجليلة، النبيلة، الأصيلة، العقيلة، الكاملة، العاقلة، الباذلة، العالمة، الفاضلة، العابدة، الزاهدة، المجاهدة، الحازمة، والحبيبة لله ولرسوله ولوليه، المختارة من النساء، والصفية البيضاء، حليلة الرسول، وأم البتول، صفوة النسوة الطاهرات، وسيدة العفائف المطهرات، أفضل أمهات المؤمنين، وأشرف زوجات الرسول الأمين، وأول من آمنت من النساء، وأسبقهن إلى عبادة رب الأرض والسماء، سيدة النسوان، وخاصة الرسول، وخلاصة الإيمان، أصل العز والمجد، وشجرة الفخر والنجد، السابقة إلى الإسلام والدين

في العاجلة والأخرى، مولاتنا وسيدتنا أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام. اعلم; إن السيدة المحترمة خديجة هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية الأسدية، وأمها من الفواطم التسع، وهي فاطمة بنت زائدة بن الأصم ينتهي نسبها إلى عامر بن لؤي[1].

قال الشيخ صاحب الوسائل في منظومته:

زوجاته خديجة وفضلها ... أبان عنه بذلها وفعلها
بنت خويلد الفتى المكرم ... الماجد المؤيد المعظم
لها من الجنة بيت من قصب ... لا صخب فيه لها ولا نصب
وهذه صورة لفظ الخبر ... عن النبي المصطفى المطهر

والحق أن الخديجة عليها السلام بذلت من همتها واهتمامها في خدمة الرسول في صدر الإسلام ما يعجز عنه الوصف، ويقصر عن بيانه اللسان والبنان.

(١) انظر بحار الأنوار ٤٤/ ١٤٤ ح ٩ باب ٢٢.

زواج الرسول صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة عليها السلام:

هي أول امرأة تزوجها النبي صلى الله عليه وآله في مكة المعظمة، ولم يتزوج بأخرى ما دامت حية، وتزوج بعد وفاتها باثنتي عشرة امرأة، وتوفي صلى الله عليه وآله عن تسع من أمهات المؤمنين، أفضلهن بعد خديجة أم سلمة، ثم ميمونة بنت الحارث، وهي المبشرة با لجنة - كما في الحديث المعتبر.

وروى الشيخ الطوسي والشيخ المفيد عليهما الرحمة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج خديجة بكرا[1]، والمشهور أنها عرفت زوجين قبل رسول الله صلى الله عليه وآله أحدهما: عتيق بن عائذ المخزومي، والآخر: أبو هالة الأسدي، أنجبت للأول بنتا، وللثاني ولدا اسمه «هند» رباه النبي صلى الله عليه وآله[2]، ثم تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت في خدمته أربع وعشرين سنة وشهرا، وأمهرها اثنتي عشرة أوقية ونصفا[3] وهو مهر باقي نساءه، أم سلمة، وميمونة، وزينب، وصفية، وجويرية، وأم حبيب، وسودة، وعائشة، وحفصة[4].

---

(١) انظر البحار ٢٢/ ١٩١ ح ٥ باب ٢.

(٢) البحار ٢/ ٢٠٠ ح ٢٠ باب ٢.

(٣) والأوقية أربعون درهما وقال العلامة المجلسي وفي هذا الزمان تعادل واحد وثلاثين ألف وخمسمائة دينار. (من المتن)

(٤) البحار ٢/ ٢٠٠ ح ٢٠ باب ٢ عن مبسوط الطوسي.

أفضلية السيدة خديجة عليها السلام في كتب أهل السنة:

وعلى أية حال، فمن نظر في كتب أهل السنة رأى أنهم يروون الكثير في فضل عائشة ومناقبها، ومع ذلك فإنهم يقولون بأن خديجة أفضل منها ومن سائر زوجات النبي، بل يفضلونها على نساء العالم، بل يروون أحاديث عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله في جلالة قدرها وعلو شأنها، مع ما كانت عليه عائشة من الحسد والغيرة والخصومة لخديجة عليها السلام. والأفضل أن نروي ما رواه المخالف لإثبات قول المؤلف وصدق دعاويه:

الخبر الأول:

روى أحمد بن حنبل والطبراني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون[1].

الخبر الثاني:

أخرج الترمذي في صحيحه أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها

(١) انظر مسند أحمد ١/ ١١٦.

مريم بنت عمران[1].

الخبر الثالث:

روى أحمد والطبراني والحاكم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله قال: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون[2].

الخبر الرابع:

روى الحاكم عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: سيدات أهل الجنة أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسية[3].

الخبر الخامس:

روى عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله وبمحمد[4].

(١) سنن الترمذي ٥/ ٧٠٢ ح ٣٨٧٧، صحيح مسلم ٢/ ٤٥٩ ح ٦٩ باب ١٢ فضائل خديجة عليها السلام وفيه: «قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: سمعت عليا بالكوفة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:... «، صحيح البخاري ٤/ ٢٣٠ باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله خديجة وفضلها.

(٢) مسند أحمد ١/ ٣١٦.

(٣) المستدرك للحاكم ٣/ ١٨٥ كتاب معرفة الصحابة -فضائل خديجة عليها السلام.

(٤) انظر البحار ٢٣/ ١١٢ ح ١٩ باب ٧.

الخبر السادس:

روى في الصحيحين عن أبي هريرة قال: أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عز وجل ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب[1].. والصخب: رفع الصوت، والنصب: التعب، والقصب: قصب الذهب. وقال الجوهري: القصب: بيت من جوهر. وقال صاحب النهاية في غريب الحديث: القصب لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف.

الخبر السابع:

روى البخاري في صحيحه عن عائشة قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وآله فعرف استئذان خديجة، فارتاع لذلك فقال: اللهم هالة؟! قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها؟! فقال: والله ما رزقت خيرا من خديجة، آمنت بي حيث كذبني الناس، وأعطتني حيث منعني الناس، وكانت من أحسن النساء حجالا، وأكملهن عقلا، وأتمهن رأيا، وأكثرهن عفة ودينا وحبا ومروة ومالا[2].

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٤٥٩ ح ٧١ باب ١٢ فضائل خديجة، صحيح البخاري ٤/ ٢٣١ باب تزويج النبي صلى الله عليه وآله خديجة وفضلها.

(٢) انظر صحيح البخاري ٤/ ٢٣١ في فضائل خديجة عليها السلام وقد بتر البخاري

الخبر الثامن:

روى عن محمد بن إسحاق قال: كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء من الله ووازرته على أمره، فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله بها، إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس، حتى ماتت رحمها الله[1].

الخبر التاسع:

روى في (نزهة المجالس ومنتخب النفائس) للشيخ عبد الرحمن الشافعي: إن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد! ما نزلت من عند سدرة المنتهى إلا ويقول الله تعالى: سلم على خديجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الله السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام وعلى جبرئيل السلام[2].

الخبر العاشر:

وفي الكتاب المذكور عن معاذ بن جبل: لما مرضت خديجة مرضها

ذيل الحديث.

(١) ١٧- كشف الغمة ٢/ ١٣٧، بحار الأنوار ١٦/ ١٠.

(٢) انظر نزهة المجالس ٢/ ٥١٧ فضائل أمهات المؤمنين عليهن السلام.

الذي توفيت فيه، دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها: بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا. أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون. قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاء والبنين[1]،[2].. وقد ذكر أحد علماء العامة عبارة فيها الكثير من المدح، قال: ويكفي خديجة فضلا أن فاطمة كانت في بطنها.

السيدة خديجة المؤمنة بالنبوة والإمامة:

ويستفاد من أحاديث الشيعة وأخبار السنة أن خديجة كانت عالمة بكتب الرواية المعروفة، وأنها كانت معروفة -من بين نساء قريش- بالعقل والكياسة إضافة إلى كثرة المال والثراء والضياع والعقار والتجارة التي عرفت بها، وكانت تدعى منذ ذلك الحين بـ «الطاهرة» و«المباركة»، بل إنها كانت ممن ينتظر خروج النبي ﷺ ويعد له

(١) انظر نزهة المجالس ٢/ ٥١٨ فضائل أمهات المؤمنين عليهن السلام.

(٢) «بالرفاء والبنين»: كلمة معروفة في الجاهلية تقال للعروسين عند الزواج، وقد نهى عنها النبي ﷺ في زواج فاطمة الزهراء عليها السلام وقال: «بارك الله لكما وطيب نسلكما وجمع بينكما في خير» ولعله نهى عنها لأنها ناظرة إلى العيش الدنيوي فقط.

عدته، ولطالما سألت «ورقة» وغيره من العلماء عن علائم النبوة. وكان أول ما طلبته من النبي صلى الله عليه وآله حينما التقت به الكشف عن خاتم النبوة. وقد تبين -في الجملة- في حديث حنة أم مريم مدى الجمال والجلال والكمال والإفضال التي كانت لخديجة عليها السلام. ولقد كانت خديجة مؤمنة راسخة الإيمان، ثابتة الجنان، مستعدة لقبول الإيمان، وقد روي أنها آمنت بالنبي صلى الله عليه وآله في عصر اليوم الذي بعث فيه وصلت معه، وروى الشيعة أن النبي بعث يوم الاثنين فآمن به علي عليه السلام نفس ذلك اليوم، وأظهرت خديجة الإيمان يوم الثلاثاء[1]. وفي الخبر: إنها أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به[2].

قال أبو عمرو والحاكم بن عتبة: هي أول من آمن وعلي أول من صلى إلى القبلة[3]. وفي النهج: وقال علي عليه السلام: «ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادتك; إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا

(١) البحار ١٦/ ٢٠ ح١٩ باب ٥ و ١٧/ ٢٣٩ ح٢ باب ٢ وفيهما أن النبي صلى الله عليه وآله بعث يوم الاثنين وأن عليا عليه السلام صلى معه يوم الثلاثاء. ولا تعارض بين الخبرين.

(٢) البحار ١٦/ ١٠ ح١٢ باب ٥.

(٣) انظر البحار ٣٨/ ٢٥٨ ح ٤٩ باب ٦٥.

أنك لست بنبي، ولكنك وزيري، وإنك لعلى خير»[1]. فصل فيه فضل إن من مفاخر خديجة عليها السلام ومناقبها المخفية على أغلب الخواص والعوام قبولها ولاية أمير المؤمنين وإمامة أولاده الأمجاد المعصومين عليهم السلام، مع أنها لم تكن يومها مكلفة بقبول الولاية، بمعنى أن هذا التكليف لم يكن فرضا واجبا إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك إنها سمعت -بأذنها- بإمامة الأئمة الطاهرين من أبناءها المعصومين يوم ولادة فاطمة حينما ذكرتهم واحدا بعد واحد، فعرفت بذلك مقام أمير المؤمنين عليه السلام ومنزلته، وكانت تسعى جاهدة من أجل تنفيذ ما سمعت وإنجازه وإنجاحه، والأفضل أن نروي هنا حديثا سارا ورد عن طرق الشيعة الإمامية; لتتضح -لبعض الغافلين- كمال الكمالات التي تمتعت بها خديجة سلام الله عليها.

روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا خديجة عليها السلام وقال لها: «إن جبرئيل عندي يقول لك إن للإسلام شروطا وعهودا ومواثيق:

الأول: الإقرار بوحدانية الله جل وعلا.

الثاني: الإقرار برسالة الرسول.

الثالث: الإقرار بالمعاد والعمل بأحكام هذه الشريعة.

---

(١) نهج البلاغة ٣٠١ خ ١٩٢.

الرابع: إطاعة أولي الأمر والأئمة الطاهرين واحدا بعد واحد، والبراءة من أعدائهم، فصدقت خديجة بهم واحد بعد واحد وآمنت بالرسول صلى الله عليه وآله فأشار إلى علي ثم قال: «يا خديجة! هذا علي مولاك ومولى المؤمنين وإمامهم بعدي»[1]. ثم أخذ العهد منهما، ثم وضع علي يده فوق يد رسول الله، ووضعت خديجة يدها فوق يد علي فبايع لعلي[2].

وكذا روي عن الصادقين الباقرين عليهما السلام في حمزة سيد الشهداء: أن النبي صلى الله عليه وآله دعاه عشية شهادته في أحد إلى بيعة أمير المؤمنين وأبناءه الغر الميامين من أولهم إلى قائمهم عجل الله فرجه أرواحنا له الفداء، فقال حمزة: آمنت وصدقت ورضيت بذلك كله، وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد دعا عليا وحمزة وفاطمة في حديث طويل أخرجه السيد (رحمه الله)[3]، وبهذا يتضح معنى قوله صلى الله عليه وآله: «ما كمل من النساء إلا أربعة أولهن خديجة» لأن تلك المخدرة آمنت بأصول الدين وفروعه وأحكامه واحدة واحدة،

---

(١) تجد تفصيل الخبر في المجلد السادس من بحار الأنوار عن السيد بن طاووس عن كتاب الوصية لعيسى بن المستفاد عن موسى بن جعفر عليهما السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليا وخديجة وذكر لهم أصول الدين وفروعه الواحد تلو الآخر حتى آداب الوضوء والصلاة والصيام والحج والجهاد وبرالوالدين وصلة الرحم وغيرها من الواجبات والمحرمات ثم أخذ العهد منهما... (من المتن)

(٢) البحار ١٨/ ٢٣٢ ح ٧٥ عن الطرف للسيد ابن طاووس... ينقل الحديث كاملا.

(٣) البحار ٢٢/ ٢٧٨ ح ٣٢ باب أحوال عشائره وأقربائه والحديث.

وآمنت بروح الأصول والفروع كلها، وآمنت بالميزان الذي به تقبل وترد الأعمال والعقائد، حيث أنها آمنت بإمامة الأئمة عليهم السلام في وقت لم تك خديجة بعد مكلفة بها، نظير إيمان فاطمة بنت أسد حينما جلس الرسول صلى الله عليه وآله على شفير قبرها وقال لها: «ابنك ابنك علي، لا جعفر ولا عقيل»[1] مع أنها لم تكن مكلفة بعد بقبول الإمامة. ونظيره ما روي في البحار أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا سأل نكير ومنكر في القبر من فاطمة الزهراء عليها السلام عن إمامها فإنها تقول: «هذا الجالس على شفير قبري بعلي إمامي: علي بن أبي طالب عليه السلام»[2].

وهذه المقامات خاصة بالأولياء الكاملين من أهل هذا البيت، حيث تكون الولاية فرض وحتم على فواصلهم، وإن كانت متأخرة عنهم؛ لأنها شرط كمال الإيمان، وبدونها تكون الشريعة قالبا خاويا لا روح فيه وكلاما فارغا لا معنى له. ولهذا نزل يوم الغدير -عند تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة- قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»[3] وقوله تعالى: «وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ»[4] والآيتان تشهدان لنا نحن الشيعة الإمامية. الحاصل: لقد أودع الله في تلك الذات

(١) البحار ٦/ ٢٤١ ح ٦٠ باب البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله والحديث.
(٢) البحار ٤٣/ ٥٨ ح ٥٠ باب ٣ والحديث.
(٣) المائدة: ٣.
(٤) المائدة: ٦٧.

القدسية -يعني ذات خديجة عليها السلام- ودائع نفيسة وذخائر شريفة لم يودعها -في ذلك الزمان- في ايحاءات أخرى من سكان السماوات والأرض; وأعظم تلك الودائع ا لجوهر الثمين لولاية أمير المؤمنين عليه السلام حيث أنها آمنت وصدقت بها قبل الإعلان عنها وقبل خروجها من القوة إلى الفعل، وبذلك سبقت خديجة إلى الإيمان بجميع مراتبه ومقاماته وتفصيلاته، وهذا المستوى من الإيمان الكامل لم يتيسر لعموم الناس، لأن أمر الإمامة كان مخفيا على أهل ذاك الزمان إلى يوم غدير خم، حيث رفع عنها الستار بعد نزول قوله تعالى: «وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ»[1] فبشرت النبي صلى الله عليه وآله برفع الخوف ودفع أذية القوم، وعندها صار قوله تعالى: «فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ»[2] عليه حكما منجزا. ويكفي خديجة شرفا أنها عاشت مع النبي صلى الله عليه وآله أربعا وعشرين سنة، فلم يختر عليها امرأة حتى ماتت، فلما هاجر صلى الله عليه وآله تزوج في فترة وجيزة عدة زوجات وظل يلهج باسم «خديجة» ويترحم عليها ويستغفر لها ويحترم أرحامها ويقربهم ولم يغفل عن ذكرها أبدا، وكان يرى في فاطمة حنان أمها وحبها وودها وإحسانها فيلزمها ويحبها ويقبلها ويتذكر فيها أمها. وفي الخبر أن فاطمة امتنعت يوما

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الشرح: ٧; وقد وردت قراءة بلفظ (وانصب) بالكسر في تفسير الكشاف وتفسير البحر المحيط. انظر معجم القراءات القرآنية ٨/ ١٨٨ إعداد الدكتور أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم.

عن الطعام وقالت لا آكل حتى اعلم أين أمي خديجة، فنزل جبرئيل الأمين وقال: إن خديجة في الجنة بين آسية وسارة[1].

الخلاصة: لقد وفقت خديجة لخدمة ابنتها فاطمة الزهراء، وتزودت من تلك الروح الغالية مدة خمس سنين، ثم توفيت في السنة العاشرة من البعثة، على الرواية المشهورة[2]، وقارنت وفاتها وفاة أبي طالب، فسمى الرسول صلى الله عليه وآله ذاك العام بـ «عام الحزن» ثم هاجر النبي صلى الله عليه وآله بعد ثلاث سنوات من وفاتها إلى المدينة المنورة. وكان عمر خديجة عند وفاتها خمسة وستون عاما -على ما ذكر- وكان عمر فاطمة الزهراء عليها السلام عند الهجرة ثمان سنوات حيث بقيت في مكة ثلاث سنين بعد وفاة أمها.

ما قام الإسلام إلا بمال خديجة وسيف علي عليه السلام:

وروى في ذيل قوله تعالى «وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى»[3] أن الله منّ على نبيه وأغناه بأموال خديجة عليها السلام. وقد وردت الأخبار عن العامة والخاصة في كثرة أموال خديجة، حتى قال العلامة المجلسي في المجلد

(١) البحار ١٦/ ١ ح ١ باب ٥ والحديث.
(٢) البحار ١٦/ ١٣ ح ١٢ باب ٥.
(٣) الضحى: ٨.

السادس من بحار الأنوار أنه «كان لخديجة في كل ناحية عبيد ومواش، حتى قيل: إن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقة في كل مكان»[1] وكانت خديجة أميرة عشيرتها وسيدة قومها ووزيرة صدق لرسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت كأنها الملكة في الحجاز وأطرافها، لكثرة ما كانت تملكه من المواشي والخدم والحشم والضياع والعقار والأملاك والأموال والتجارة والعبيد والإماء وا لجواهر الغالية والذهب والفضة، وقد قدمتها جميعا -وهي في غاية الرضا والامتنان- إلى النبي صلى الله عليه وآله خصوصا خلال فترة الحصار في شعب مكة، حيث استمر ثلاث سنوات منعت قريش القوت والإمداد عن بني هاشم، فكانت خديجة تغدق عليهم بكل سخاء، وتنفق على تلك ا لجماعة من الرجال والنساء من بني هاشم ومن الحراس والحفظة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان الربيع بن العاص صهر خديجة على بنتها يحمل الحنطة والتمر على الإبل ويبعث بها إليهم تحت جنح الظلام، حتى نفذت ذخائرهم ولم يبق لهم شيء، وآل أمرهم إلى أن قنعوا بثوب واحد يستر عوراتهم. وهكذا كانت خديجة عليها السلام مؤمنة حقا، آمنت بنبي آخر الزمان بالقلب واللسان والمال وا لجنان. نعم; لقد ساوى بذل خديجة عليها السلام سيف علي عليه السلام في الإسلام، وتساويا من

(١) البحار ١٦/ ٢٢ ح ١٩.

قبل في السبق إلى الإسلام، وفي هذا من الشرف ما يكفي خديجة عليها السلام، علاوة على أنها قامت عن بنت كفاطمة عليها السلام، وبها تشرفت على نساء العالمين.

وقبل نزول الأجل وحلول زمن الفراق والتوجه إلى العالم الأعلى ظهرت لخديجة الطاهرة الألطاف الإلهية الخاصة، حتى كانت مسلية لخاطر النبي الرؤوف ومنذ البعثة والنبوة لم يقبض عزرائيل وعماله روح أحد له تلك الألطاف المتواترة والأفضال المتكاثرة، حيث كان في ذلك الزمان أربعة نفر: رجلان وامرأتان من كل ما أظلته السماء من شيوخ وشبان ورجال ونسوان، كانوا أركان العالم وقوام الشرع، أما الرجلان فأمير المؤمنين علي عليه السلام وأبوه أبو طالب الذي توفي في عام الحزن، وأما النساء فخديجة الطاهرة وبنتها فاطمة المطهرة.

الفهرس

المقدمة ٣

ماذا يعني عام الحزن؟ ٥

معنى الحزن ٥

أبو طالب عليه السلام الناصر والحامي ١٠

وصية أبي طالب لقريش ١٢

وصلتك رحم يا عم.. ..... ١٤

خديجة الكبرى ١٧

دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله ١٩

مكانة السيدة خديجة عليها السلام ٢١

مناقب وفضائل السيدة خديجة ٢٢

زواج الرسول صلى الله عليه وآله بالسيدة خديجة عليها السلام ٢٤

أفضلية السيدة خديجة عليها السلام في كتب أهل السنة ٢٥

السيدة خديجة المؤمنة بالنبوة والإمامة ٢٩

ما قام الإسلام إلا بمال خديجة وسيف علي عليه السلام ٣٥

في أسبوع واحد فقد رسول الله أكبر دعامتين اعتمد عليهما نشر دعوة الإسلام، في السابع من شهر رمضان توفي عمه وناصره أبو طالب، وفي العاشر منه توفيت أم المؤمنين خديجة فسمّي هذا العام بعام الحزن.

أبو طالب عليه السلام حامي الرسول الأكرم ومانعه من مشركي قريش، الذين عجزوا عن التصدي للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله لعلمهم إن أبا طالب شيخ البطحاء يحول دون ذلك، فانه كان رجلا مرهوب الجانب ذا سطوة ونفوذ، وليس في بني هاشم وحدهم بل في قبائل مكة كلها.

كان أبو طالب عليه السلام سند الدعوة وجدارها الشامخ الذي تستند إليه، ومن اجل ذلك سلكت قريش أسلوب التفاوض والمساومة مع الدعوة والرسالة في شخص الرسول صلى الله عليه وآله مرة وفي شخص أبي طالب مرة أخرى، تحاوره بشأن الدعوة طالبة منه ان يستخدم نفوذه بالضغط عليه لترك رسالته وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها اذا لم يخلّ بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ويكف عن إسناده له.

أما السيدة خديجة الكبرى عليها السلام فقد كانت على دين أبيها إبراهيم وذلك قبل أن يُبعث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، وكانوا يُعرفون بالحنفاء، وقد آمنت في اليوم الأول من بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف: (أوّل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من الرجال علي ومن النساء خديجة عليها السلام).